مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 5 العدد 2 / ديسمبر 2019
ص ص: 24-39

الممارسات اللغوية عبر الفضاء الافتراضي
أزمة الاستلاب الهوياتي العربي

Linguistic Practice across Virtual Space
The Arab Identity Crisis

سميشي وداد [1*] ، قجالي آمنة [2]
[1] جامعة قسنطينة 3 (الجزائر) ، brillantetoile70@yahoo.fr
[2] جامعة قسنطينة 3 (الجزائر) ، Lajournaliste1@yahoo.fr

الاستلام: 2017/11/19 القبول: 2019/10/06 النشر: 2019/12/31

الملخص

اللغة هي مُكوّن الحضارة والتاريخ الإنساني، فضلا عن أنها أساس الثقافة من جهة والهوية من جهة ثانية. ويعيش العالم العربي اليوم، غزوا للإلكترونيات وشعبية قصوى لاستخدام الشبكة العنكبوتية خاصة من قبل الشباب الذين وجدوا ضالتهم في الإبحار عبر العالم الافتراضي، هذا الأخير الذي يتميز بامتزاج اللغات واللهجات في التعبير عن الأحداث أو حتى في التعبير عن الذات. وبالتالي يتحتم على مستخدمي تكنولوجيات الاتصال إيجاد لغة وسط أو لغة تتلاءم مع خصائص هذا العالم الجديد وطبيعة الحوار الذي يسري عبر وسائطه الالكترونية، مما سمح ببروز ما يسمى باللغة الهجينة التي تُوظّف كلمات تجمع بين لغتين أو كلمات عربية مكتوبة بحروف لاتينية أو أرقام وغيرها. وهو ما أظهر إشكالات هوياتية عدة تتضح تداعياتها جلية في كل مجالات حياتنا.

الكلمات المفتاح: تكنولوجيات الاتصال، الهوية العربية، اللغات الهجينة، الشباب العربي.

Abstract

Language is the component of civilization and human history, as well as the basis of culture on the one hand and identity on the other. Today, the Arab world has been invaded by electronics and the extreme popularity of the use of the Internet, especially by young people who have found their way through the virtual world,

* المؤلف المرسل: سميشي وداد، brillantetoile70@yahoo.fr

which is characterized by the fusion of languages and dialects in the expression of events or even in self-expression. Users of communication technologies must therefore find a simple language or language that is compatible with the characteristics of this new world and the nature of dialogue, through its electronic media. This allows for the emergence of so-called hybrid language that employs words that combine two languages or Arabic words written in Latin letters or numbers. This has shown several problems that are evident in all areas of our lives.
Key words: communication technologies, the Arab identity, hybrid languages, Arab youth.

تمهيد

يتفق الباحثون على أن اللغة أساس التواصل بين الشعوب ومن المكونات الأساسية للهوية، ورغم أن الحديث عن فوائد ومساوئ التكنولوجيات الاتصالية أصبح من القضايا المستهلكة بحثيا إلا أن علاقتها باللغة تبقى من القضايا الشائكة التي يصعب إيجاد مخرج لها. فالموجة الرقمية في حاجة دائمة لمكونات اللغة للانتشار والوصول إلى كل أقطار العالم، واللغة بكل أبعادها مضطرة للتأقلم مع المحيط الاتصالي الجديد حتى لا تفقد فاعليتها ودورها الرئيس في إيصال الفكرة والمعلومة.

ورغم ظهور نماذج لغوية جديدة دخيلة إلا أن التفسير العقلاني لانتشارها هو الحاجة لمصطلحات وجمل قصيرة ومفهومة تتماشى مع سرعة وآنية المراسلات الالكترونية، كما أن طبيعة الجمهور المستخدم لوسائل الإعلام الالكتروني تتدخل بشكل مباشر في طريقة اختيار الكلمات والعبارات، فهذا الجمهور لا يملك من الصبر ما يجعله يتفنن في صياغة الجمل الطويلة واستخدام عناصر الخيال اللغوية من صور بيانية أو تشبيهات أو كنايات للتعبير عن معنى محدد، بل يلجأ إلى أقصر الكلمات والأبعد من ذلك قد يدمج بين لغتين في كلمة واحدة للاختصار.

1-إشكالية البحث وتساؤلاته

إن القراءة المتأنية لمخرجات العالم الافتراضي العربي تسفر عن نصوص وخطابات وحوارات مصاغة بلغة تخترق كل القواعد اللغوية المتعارف عليها، يتفق على معانيها مستخدمو الوسائل الاتصالية الجديدة وفي مقدمتها الانترنت، أي أننا لو حللناها من منطلق لغوي محض بعيدا عن السياقات التي أُنتجت فيها لما استطعنا تفسيرها أو فهم أبعادها. والأهم من كل هذا هو أن عددا من هذه المصطلحات الهجينة والدخيلة على اللغة العربية قد حلّت محل كلمات وتعابير عربية رغم أنها لا تراعي

معايير السلامة اللغوية، فتعوّد الشباب على استخدامها وأضحت جزءا لا يتجزأ من حواراتهم اليومية حتى خارج العالم الافتراضي: في بيوتهم ، في جامعاتهم وفي الشوارع.

وتشكل هذه اللغة الجديدة تحديّا فعليّا للّغة العربية عموما والهوية العربية لشبابنا على وجه الخصوص، لأنها تمس بشكل صارخ معالم الهوية وتطيح بقواعد السلامة اللغوية التي تتحول شيئا فشيئا إلى قواعد مهجورة، لا يتم توظيفها إلا في نطاقات رسمية ومحدودة جدا. لذا يفترض إعطاء فرص بحثية لتحليل هذه المسألة والإحاطة بكافة جوانبها، كمحاولة لتدارك ما يمكن تداركه والتقليل من المخاطر التي تكتنف الاستخدام المفرط للغات غريبة عن موروثنا الثقافي اللغوي.

بناءا على ذلك، فإن أهمية هذا البحث تتأتى من محاولته مراجعة الممارسات اللغوية عبر التكنولوجيات الحديثة للشباب العربي خاصة عبر شبكات التوصل الاجتماعي التي تشهد شعبية وانتشارا كبيرا بين أفراد هذه الشريحة العمرية بالذات. وعليه فيمكننا طرح التساؤلات الآتية:

- ما هي أهمية اللغة الأم في الحفاظ على معالم الهوية العربية؟
- إلى أي مدى تؤثر التكنولوجيات الاتصالية الحديثة سلبا على الممارسات اللغوية للشباب العربي؟
- ما هي الحلول المقترحة لتفادي خطر اللغات الهجينة على اللغة العربية؟

2-الهوية العربية والإعلام

2.1- تعريف الهوية

الهوية هي إحساس الفرد أو الجماعة بالذات، وهي نتيجة وعي الذات، بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك أو تميزنا عنهم، فالطفل الجديد قد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بعلاقة مع اسمه وجنسه وأبوته وأمومته ومواطنيته، وهذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزءا من هويته حتى يعيها الطفل ويعرف نفسه بها.(1)

وتستعمل كلمة "هوية" في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى كلمة identity, Identité التي تعبر عن خاصية المطابقة: مطابقة الشيء لنفسه، أو مطابقته لمثيله، وفي المعاجم الحديثة فإنها لا تخرج عن هذا المضمون ، فالهوية هي حقيقة الشيء، أو

الشخص، المطلقة، المشتملة عل صفاته الجوهرية، والتي تميزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدة الذات. وخلاصة القول أن الهوية الثقافية أو الحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهري، والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى. (2)

والهوية في غاية الأهمية ومنها تنطلق المصالح الفردية والجماعية وتُحدّد مراكز اهتمام الأفراد والجماعات حيث أن الأفراد لا يمكنهم أن يدركوا مصالحهم إلا إذا عرفوا أنفسهم، فسياسة المصالح تفترض الدراية الكاملة بالهوية .

2,2- علاقة اللغة بالهوية

نرى أن مسألة العلاقة بين اللغة والهوية هي مسألة تطفو لسطح النقاش في كل مرة نحاول فيها فرز معالم هويتنا وضبطها بدقة، نظرا للعلاقة الوطيدة التي تجمع بينهما، ولأن الهوية تجابه تحديات متجددة أصبح من الضرورة التذكير بأهمية اللغة وقدرتها على المحافظة على معالم الهوية والصمود في وجه كل تحريف أو اختراق يستهدف هوية المجتمع خاصة إثر الغزو الثقافي ومخاطر العولمة الثقافية. ومنه فإن موضوع اللغة والهوية يستلزم منا طرحا مغايرا لما طرح سابقا لأسباب عدة: (3)

– ما حصل من تغير في المشهد الثقافي الإنساني، الذي أفضى إلى انقلاب المفاهيم والمرجعيات واضطراب سلم أولوياته.

– تصدر العامل اللغوي أمام سائر المقومات التي منها تتكون منظومة قيم الانتماء الحضاري.

– لأن التحديات التي تواجه اللغة والهوية تفرض علينا صياغة المناعة لدى الفرد والمجتمع، وهذا هو التحدي الأكبر لهوية الأمم والشعوب في ظل عولمة لا مكان فيها للخصوصيات.

– لأن المرامي الجديدة في سياسة العولمة التي تسود العالم اليوم تهدف لتنميط البشر والقيم والمفاهيم وفق معاييرها الجديدة، والتي تسعى إلى صياغة هوية شمولية تفرضها في الواقع الإنساني.

– إن النظام العالمي اليوم يشهد اهتماما وتركيزا شديدين على مسألة اللغة والهوية، خاصة في ظل رهان العلاقات الدولية الملتهبة، مما يفرض علينا وعيا بهذه المسألة.

– لأن اللغة معلم بارز في تحديد الهوية وإثبات الذات.

– لأن هناك انفصام لغوي وهوياتي بارز بين النخب المثقفة وعموم أبناء الشعب.

وتتقاطع اللغة مع الهوية باعتبارها شكلا من أشكالها ومقوّما من مقومات المجتمع الثقافية والعلمية، وتأخذ الهوية عدة اعتبارات ومفاهيم باعتبار الزمان والمكان والمجتمع والدين، كما أن مصطلح الهوية متعدد الانتماء المعجمي، إلا أنه يرتبط باللغة ارتباطا وثيقا، والتاريخ يبين لنا أن الشعوب الغابرة اهتمت بلغاتها باعتبارها قضية وجودية لمستقبلهم الحضاري والثقافي، فهي رمز لهويتهم وحضارتهم ووجودهم. (4)

2.3- تأثيرات الإعلام على الهوية

تستطيع قوة الإعلام فعل الكثير من أجل خير المجتمع وتقدمه ونمائه إلى جانب ما يتوافر على الإعلام من أجهزة تقنية معقدة ومتطورة.. وهذا التقدم المذهل والمضطرد في عالم الاتصال يشير إلى خطورة الدور الذي يقوم به الإعلام في مواجهة قضايا أمتنا على اختلاف أنواعها ومضامينها، وذلك كله يعتمد على التوجيه الذي يعنى الإعلام بالإلحاح عليه والأفكار التي يعرضها عبر أجهزته وصفحاته وشاشاته ووسائله المختلفة.

وقد تم استخدام الهوية على نطاق واسع على يد كثير من العلماء وذلك بالارتباط بإحساس الفرد بنفسه، ولكنها فيما بعد اتخذت منحى كبيرا في تنوع معانيها واستخداماتها المركبة، والهوية مستمدة من المجتمع ومؤسساته إذ أن المدرسة والعائلة والجامعة ومكان العمل ووسائل الإعلام الجماهيرية تؤدي دورا حاسما ومؤثرا في تشكيل الهوية، ومن هنا فإن المجتمع يستمد مؤسساته وممارساته منها. (5)

قد تشكل عولمة الإعلام والاتصال تهديدا للتعددية الثقافية، وعدوانا على مبدأ احترام الهويات الثقافية للشعوب المختلفة وحقها في استخدام تكنولوجيا الاتصال وفي تأكيد هويتها الثقافية والتفاعل بروح إيجابية مع حقائق وأوضاع عولمة الإعلام خصوصا في أجواء لا توحي بكثير من الثقة في الآخر الثقافي ولا بحرصه على بنائنا الثقافي أو حتى التعليمي. (6)

هذه التعددية الإعلامية أفرزت لنا نماذجا حيّة عن ممارسات لغوية جديدة لا تتماشى في أغلب صورها مع مجتمعاتنا التي عُرفت منذ سنوات طويلة أنها مجتمعات

استهلاكية بالدرجة الأولى حتى من الناحية الإعلامية، مما يجعلها هشة وقابلة للاختراق بسهولة نظرا للكم الهائل من المواد الإعلامية الدخيلة التي تجتاح وسائلنا الإعلامية حاملة معها معايير أخلاقية وثقافية غريبة مُنتهكة بذلك خصوصياتنا الثقافية والفكرية.

ومنه فتأثير الإعلام يبرز بشكل جليّ في الشق الثقافي من الهوية حيث تتبين مساعي بعض وسائل الإعلام للنيل من ثقافات الدول غير المتطورة وإعطائها معالما ثقافية غربية تعود في الأصل للدول المتطورة، وهي أكثر المآخذ التي سُجّلت على العولمة الثقافية ولازالت الكثير من الدول السائرة في طريق النمو اقتصاديا تتخبط فيها.

3- تأثيرات تكنولوجيات الاتصال على الهوية العربية

وفق دراسة أجريت حديثا في إطار تقارير مؤشر الرأي العربي لسنة 2013 شملت ما يقارب 20350 فرد من 14 بلد عربي (الأردن، لبنان، فلسطين، العراق، موريتانيا، السودان، السعودية، تونس، المغرب، اليمن، الجزائر، مصر، الكويت، ليبيا) أسفرت نتائجها أن نسبة 79% من العرب يؤمنون بتكامل وسلامة الوطن العربي، وأن كل الشعوب العربية تشكل وطنا عربيا واحدا بكل مكوناته الثقافية الفكرية برغم كل الاختلافات التي قد نجدها بين شعب عربي وآخر. (7) وهو ما يعبر عن مدى تمسك الفرد العربي بأسس هويته وانتماءاته الثقافية والوطنية، إلا أن المعطيات المجتمعية الجديدة تنقل لنا بداية تزعزع هذه القيم وفتور الإحساس بقيمتها.

ازداد تأثير الإعلام ودوره الفاعل مع انتشار شبكات التواصل الاجتماعي، وازدياد عدد المسجلين فيها يوماً بعد يوم، أو على الأقل في إحدى شبكاتها، ووصولها إلى شتى شرائح المجتمع، إضافة إلى سهولة استخدامها والمميزات الكبيرة التي تتمتع بها، وهو ما لمسنا آثاره ونتائجه في الآونة الأخيرة.

فقد شهد العالم في العقود الثلاثة الأخيرة ما عرف باسم ثورة المعلومات، ممثلة في جملة من الوسائل والتطبيقات التفاعلية السريعة، توفرها شبكات ووسائل الكترونية متطورة كالإنترنت والهواتف المحمولة وغيرها. فضلا عن وجود منصات الكترونية اجتماعية وفي مقدمتها موقع فايسبوك وتويتر وماي سبيس، ويوتيوب، ساهمت بشكل كبير في تداول وسريان المعلومات في كل أقطار العالم.

ومن وجهة نظر أوسع فإن هذه الثورة الإعلامية الجديدة لها أبعاد كثيرة على الجانب الهوياتي لأوطاننا نظرا أنها تخاطب بل تزاحم ثقافاتنا وتقدم لنا نماذجا قيمية دخيلة، فضلا عن توجيهها للرأي العام وفرض أفكار معينة تشجع السرعة والاختصار في صياغة الرسائل مما يدفع مستخدمي وسائل الإعلام الرقمي إلى الالتزام بقواعد لغوية جديدة أساسها الإيجاز وغالبا بعيدة عن القواعد النحوية والصرفية والبلاغية التي تتميز بها اللغة العربية.

ففي هذا البحث نحن لا نتناول اللغة كمركب مستقل عن الهوية العربية بل كجزء متأصل فيها وجدير بالاهتمام والتطوير ، فكينونة الفرد العربي لا تتوقف في جنسيته أو أصوله أو ديانته فكل هذه الاعتبارات لا تخلو من الممارسات اللغوية التي ينقل بها الفرد أفكاره واهتماماته ورغباته وتطلعاته، وحين تصبح اللغة عاجزة عن نقل كل ما سبق ذكره ومواكبة مقتضيات العصر السريع فمن المؤكد أن الفرد سيخلق لنفسه أنظمة لغوية حرة يصوغها وفق احتياجاته، وهو ما حدث بالفعل مع استخدام وسائل الإعلام الالكتروني حيث صارت اللغة العربية – في فترة معينة – بكل ما تحويه من مبادئ لغوية عبئا تعبيريا يحول دون سرعة نقل المعلومة. ولعل تجاوز قواعد اللغة العربية ودمجها مع لغات أخرى في النصوص المتداولة عبر الشبكة العنكبوتية وحتى عبر الرسائل القصيرة على الهواتف المحمولة يعدّ ضربة في صميم الهوية العربية ومساسا بأهم مكوناتها.

فغياب الوعي بمسألة اللغة خلّف أزمة في الفكر العربي الذي يتخبط بين هويات ثقافية مختلفة أنتجتها الخلفيات الفكرية والثقافية ذات المرجعية الغربية، فأصبحت اللغة ليست ذلك القالب الذي تنسج فيه الإبداعات الثقافية، إذ يعتقد الشباب اليوم في البلدان النامية أن استخدام لغة شعب متطور تجعل مستعملها متطورا ومتحضرا، وهذا ما نلمحه في استخدام اللغتين الانجليزية والفرنسية، غير مبالين بخصوصية الهوية اللغوية. (8)

والمجتمعات الافتراضية خلقت هويات من نوع جديد، هويات متعددة الأبعاد فالشخص الواحد لم يعد يكتفي بهويته الأصلية بل يبحث عن هويات بديلة، نظرا لهامش الحرية الذي توفره المنصات الالكترونية والفضاءات الالكترونية. لذا نجد أن أغلب مستخدمي الانترنت يتقمصون شخصيات وهمية وأسماء مستعارة بحثا عن

حرية أكبر وإفلات من القيود الاجتماعية المترتبة عن الأدوار الاجتماعية التقليدية الرسمية وغير الرسمية.

كما نلاحظ أنه تم إعادة تشكيل هويات جديدة في ظل ثقافة غربية مهيمنة، هويات رقمية تفرز مزيجا جديدا من السمات والتفاعلات والتمظهرات الفردية والجماعية في فضاء سايبيري لا حد له ولا قيد عليه، وهي هويات هجينة تجمع بين الثقافة المحلية من لغة ودين وموروث ثقافي وشعبي، وثقافة أجنبية بكل مكوناتها، وهو ما يهدد هوية الفرد الأصلية من خلال انتمائه للمجتمع الأصلي ما يطرح في مرحلة ثانية تساؤلا عن مدى شرعية انتمائه لهذا المجتمع التقليدي. (9)

فالحديث عن تأثير وسائل الإعلام الرقمي على الهوية العربية مسألة تستدعي التفكير جديّا في طرق الاستفادة من هذه الوسائل لتعزيز مكونات هويتنا، فليس حصر النقائص والسلبيات ما نحتاجه حاليا بل لا بد من خلق ميكانيزمات تتناسب مع الوضع الراهن لإثراء الرصيد العربي الهوياتي وخلق مناعة ثقافية عربية. فليس من الإنصاف التغافل عن أهمية شبكات التوصل الاجتماعي مثلا في التعريف بالثقافات واللغات والموروث الثقافي لمختلف دول العالم، لذا فالأرجح التركيز على سبل استثمار خدمات وتطبيقات العالم الافتراضي في نشر الهوية العربية والتعريف بها.

4-اللغة الأم وتحدي اللغات الأجنبية: عوامل وظيفية.. وأخرى تاريخية

نعلم أن التنوع الثقافي مكفول في أغلب التشريعات والدساتير العربية وفي مشاريعها التنموية، فالتاريخ يشهد أنه عشية التحرر من المستعمر تعمل الدول العربية على إعادة بناء حصنها الثقافي الهوياتي بالدرجة الأولى، ويتضح ذلك من خلال محاولتها خلق هوية عربية جماعية تتكون أساسا من الإسلام دينا والعربية لغة. (10)

لقد أثبتت إحصائيات حديثة لمنظمة اليونسكو أن هناك 25 لغة تموت سنويا، كما تشير الأبحاث العلمية من مجموع اللغات التي يقدرها الباحثون بحوالي 6000 لغة، والتي تتوقع الدراسات أن تختفي منها 3000 لغة مع انتهاء القرن الحادي العشرين. (11)

لعل هذه الأرقام تحمل في طياتها تعبيرا عن حاجة بعض اللغات إلى التطوير والتماشي مع معطيات العصر الجديد وتقديم جزئيات جديدة من شأنها توسيع استخدام هذه اللغات في كافة مجالات الحياة، خاصة منها الميدان التكنولوجي الذي يتطلب لغة

سلسة ومرنة وقابلة للاستخدام الوظيفي السريع في المنشورات الالكترونية والحوارات المتداولة عبر الفضاء الافتراضي.

فالتفتح على لغات العصر أمر لا بد منه، لما في ذلك من إغناء للثقافة العالمية ولذلك يحسن أن يكون هذا التعارف إيجابيا، فتتغذى فيه اللغات الأصلية من موروثها الثقافي العميق، كما لا بد أن تكتسب تجددها ونماءها واستمرارها من روح العصر وتطوراته، فهي ملزمة بهذا لاتصالها بثقافات غيرها، ففي ظل رهانات العصر والتعدد اللغوي الذي ظهر بمجرد بروز تغييرات طارئة من خارج اللغة الأم، هذه التغيرات تكون عابرة لهذا النظام اللغوي، وهو انفتاح لغوي، يمتزج فيه الأصيل بالأجنبي، والفصيح باللهجي لعوامل شتى، أسهمت فيه ظروف تاريخية وجغرافية واجتماعية وسياسية وثقافية. (12)

وقد تصدرت اللغة الانجليزية لسنوات طويلة قائمة اللغات المستخدمة عبر الفضاء الافتراضي واكتسبت صفة العالمية رغم مقاومة بعض الشعوب وتمسكها بلغتها الأم كالشعب الياباني الذي ظل لسنوات يصنع نهضته انطلاقا من لغته الأصلية. إلا أن الوضع لم يستمر طويلا نظرا لحاجة كل شعوب العالم للتفتح على تكنولوجيات الاتصال والإقبال على المستجدات العلمية، هذه الأخيرة ارتكزت بدورها على اللغة الانجليزية بصفة شبه كلية. ونشير إلى أن هناك "صلة وثيقة بين الهيمنة اللغوية والقوة الثقافية، التكنولوجية والاقتصادية" (13)

ومعنى ذلك أن اللغة الانجليزية تعود لأقوى دول العالم من الناحية الثقافية العلمية والتكنولوجية وحتى العسكرية، مما خول لها فرض ممارساتها اللغوية لكل من يرغب في الاستفادة من منتجاتها الاقتصادية والفكرية بشتى أنواعها، لذا نلاحظ فشل جل محاولات المقاومة اللغوية التي تمارسها الدول السائرة في طريق النمو، نظرا أنها لا تقوى على الاستغناء عن صادرات الدول القوية من الناحية المادية أو المعنوية، مما جعلها مجتمعات خاضعة لغويا –إن صح التعبير – للدول التي تتفوق عليها.

وقد وصل معارضو العولمة إلى القول بأن اللغة الانجليزية هي لغة قاتلة وتنتشر كالوباء الثقافي والحضاري في أنحاء العالم حاذفة الأصوات المميزة والهويات الحضارية، حيث أن دراسة اللغة الانجليزية وممارستها تعني دراسة الحضارة والثقافة والفكر الغربي الذي يؤثر حتما على المجتمعات التي تتداولها. (14) ومنه فإن

مشاركة اللغة الانجليزية اللغة العربية في حواراتنا ونصوصنا وحياتنا اليومية ما هو إلا إسقاط لضعفنا في الإنتاج الاقتصادي والثقافي وضعف استراتيجياتنا السياسية والعسكرية قبل كل شيء.

في الواقع، إن اللغة الانجليزية ليست اللغة الوحيدة التي تزاحم لغتنا الأم في الوطن العربي بل إن اللغة الفرنسية أيضا تأخذ حصة الأسد في بعض المجتمعات خاصة منها بلدان المغرب العربي، التي تأثرت بالفكر والثقافة واللغة الفرنسية بشكل كبير ، نتيجة المعطيات الاستعمارية التي مرت بهذه المنطقة من جهة، وسياسة الاستلاب اللغوي والثقافي الممارسة عليها لسنوات طويلة. وهو ما يحصل بالفعل في الجزائر مثلا أين نلاحظ انتشار اللغة الفرنسية بشكل ملفت للانتباه ليس فقط في الشوارع والبيوت بل حتى في بعض المؤسسات الحكومية والمدارس والجامعات، وهو ما يعيدنا لمقولة الجنرال شارل ديغول: "لقد صنعت لنا اللغة الفرنسية ما لم تصنعه لنا الجيوش" (15)

هنا نعي وعيا لا يشوبه شك أن اللغة الأم هي أول المجالات الحيوية التي يستهدفها المستعمر في أي بلد يقتحمه، فيعمل جاهدا على تعويضها بلغته أو تشجيع اللغة العامية بدل الفصحى فقط بغية قطع أواصر التواصل الفكري والحضاري وجعل الشعوب المستعمرة تابعة للمستعمر جغرافيا وثقافيا أيضا.

5-مشاكل اللغة العربية في عصر متغير

لن ننكر أن الثراء والتنوع ليس ما ينقص اللغة العربية بل هي من أثرى لغات العالم وأكثرها أصالة، ولكن استخدام اللغة العربية يعرف تذبذبا وظيفيا كبيرا في هذا العصر الذي تطغى عليه التقنية واللغة السريعة، وعليه نحاول عرض بعض المشاكل التي تعترض توظيف اللغة العربية كسبيل لتشخيص المعوقات التي تحول دون انتشارها وقد حدد الدكتور أحمد علي كنعان (عميد كلية التربية بجامعة دمشق) جملة من المشاكل وهي:(16)

- عدم عناية مدرسي اللغة العربية وغيرهم من مدرسي المواد الأخرى باستخدام اللغة العربية الصحيحة.
- منهج تعليم اللغة العربية لا يخرج القارئ المناسب المواكب للعصر.
- عدم توافر قاموس لغوي حديث في كل مرحلة من مراحل التعليم اللغوي.

- الافتقار إلى أدوات القياس الموضوعية في تقويم التعليم اللغوي.
- قلة استخدام المعينات التعليمية والتقنيات الحديثة في تعليم اللغة.

وقد قسم الدكتور محمد رفعت زنجير المشاكل التي تكابدها اللغة العربية إلى شقين قسم داخلي يتعلق بالأزمة الحضارية التي تعيشها الأمة العربية، نظرا لوجود من يدعو إلى ترك اللغة العربية واستبدالها أو مزجها بالعاميات أو الاعتماد على اللغات الأجنبية، تعبيرا عن أن التطور والنمو الفكري والثقافي لا يكون إلا بالانسلاخ من اللغة العربية. أما الشق الثاني فهو قسم خارجي يتمحور حول الغزو الفكري الوافد من الأمم الأخرى، خاصة إثر العولمة التي خلفت رغبة في ابتلاع ثقافات الأمم والقضاء على التنوع اللساني في العالم. لدرجة أننا نجد دولة كفرنسا تضج من زحف العولمة ويقرر زعماؤها أن التنوع ضرورة خوفا على لغتهم فما بالكم باللغة العربية التي لا يروج لها أحد تقريبا.(17)

ونشير في ذات السياق أن العولمة بكل تفاصيلها وممارساتها اللغوية لمتغير من معالم اللغة العربية فحسب بل كل لغات العالم تأثرت بها، فنجد مثلا أن اللغة الانجليزية قد غيرت من بعض ألفاظها أو اختصرت في بعض عباراتها تماشيا مع عصر التقنية والتكنولوجيا الرقمية ، حتى لا يتجه مستخدموها إلى لغات أخرى أسهل وأكثر مرونة، وهو المطلوب في هذه المرحلة من المتخصصين في اللغة العربية، أي أن لا يجعلونها لغة صلبة منغلقة على نفسها، فأحيانا في محاولاتنا للحفاظ على قواعدنا اللغوية الأصيلة قد نفقدها للأبد نتيجة ارتباطها بكل ما هو قديم وابتعادها عن كل ما هو جديد وسريع.

وليست اللغات الأجنبية المشكل الوحيد الذي يعرقل مسيرة اللغة العربية بل إن طرق تلقينها والتسويق الجيد لها من العناصر المهمة أيضا، فكل لغات العالم توظف أنظمة تعليمية لغوية رقمية، وأشرطة فيديو تفاعلية، ورسوم توضيحية وغيرها لتقريب اللغة من مستخدمها، وهو نادرا ما يحدث في نظم تدريس اللغة العربية. كما أن مخرجات الوسائل الإعلامية العربية أيضا لها الدور الرئيس في الترويج للغة العربية المحافظ عليها لكننا للأسف نجد الكثير من الفضائيات العربية تقدم برامجا وأفلاما بل وحتى رسوما كارتونية بلغات أجنبية وتكتفي بترجمتها أحيانا أسفل الشاشة، وما تشهده

شوارعنا من إعلانات ولافتات للمحلات التي نادرا ما نجدها باللغة العربية بل أغلبها يتخذ من الحرف اللاتيني والكلمة الأجنبية عنوانا لخدمته أو منتوجه.

وهو ما يجعلنا نخشى من انحصار اللغة الأم في نطاقات رسمية محددة وبعدها عن الممارسات اليومية، نخشى من أن يأتي يوم "تصبح فيه اللغة العربية غريبة على أبنائها، ويصبح التعليم باللغة العربية مقتصرا على بعض البيئات المتواضعة ماديا وثقافيا". (18)

6- الممارسات اللغوية عبر وسائل الاتصال الالكترونية

6.1- اللُّغة العربيّة .. لغة المحمول ولغة الانترنت: تكامل أم مواجهة

عموما اللغة الدارجة في الاستعمال اليومي ليست الكلام المنطوق وحده، وإنما تشمل إلى جانب ذلك كل تبادل لغوي منطوقا أو مدونا يتم تبادله في حوارات لفظية أو عبر المنصات الالكترونية التي شاعت وامتد تأثيرها على الأصعدة الفكرية والاجتماعية والسياسية..الخ وكذلك عبر الرسائل النصية القصيرة، التي يتم تداولها على شاشات التلفزيون أو المحمول أو الانترنت. ويتنامى بشكل مضطرد نصيب هذه الرسائل النصية في عمليات الاتصال في العصر الالكتروني الذي يتقدم ويتوسع في كل لحظة. (19)

فاستخدام الوسائط الالكترونية على اختلافها خلق لغة فريدة ومتميزة، لغة هجينة ترتكز على النص القصير والسريع ولا تكترث بالقواعد النحوية والصرفية واللغوية الثقيلة، لذا نجد الكثير من العبارات العربية التي تحولت إلى مزيج بين لغتين مختلفتين أو تم اختصارها أو تم كتابتها بالحرف اللاتيني تماشيا مع تقنية العصر الجديد الذي يشجع التفتح على لغات العالم نظرا أنها في الأصل لغة الدول صانعة هذا التطور التكنولوجي. فظهر ما يسمى بلغة المحمول (تعبيرا عن اللغة المستخدمة عبر الهواتف الجوالة عن طريق تقنية SMS أو الرسائل القصيرة) أو لغة الانترنت (تعبيرا عن اللغة المتداولة عبر المواقع الالكترونية المختلفة). وهي لغة تتميز بجملة من الخصائص أهمها:

الاختصار والربط بين الأفكار بأقصر العبارات.

التخلي عن كل القواعد اللغوية المتعارف عليها في سبيل سرعة التعبير وسرعة إرسال الفكرة.

استبدال بعض الكلمات والأحاسيس برموز وصور وأرقام موجودة إما على لوحة المفاتيح أو مدرجة ضمن خدمات المواقع والتطبيقات الالكترونية المستخدمة.

استخدام أكثر من لغة في جملة واحدة إذا استدعت الضرورة التعبيرية ذلك، المهم وصول المعنى.

وجود بعض العبارات غير المفهومة التي لا يستطيع فك شفرتها إلا مستخدمو هذه اللغة والمعتادين عليها.

إمكانية إرفاق النص بالصورة والصوت مما يجعل الحاجة إلى النصوص تقلّ نظرا لوجود بدائل تعبيرية.

يفترض أن اللغة العربية ليست في علاقة تنافسية مع هذه اللغات التي جاءت في بيئة رقمية تفاعلية إذ أن الفرد العربي في حاجة دائمة للغة الأصلية كقاعدة أساسية لكل تعاملاته وعملياته التواصلية اليومية، رغم استغنائه عنها في مواطن كثيرة لحاجته للغة أكثر مرونة في تعامله مع عالم تقني بامتياز، لذا فالأجدر أن يتم إيجاد آليات تجدد حوافز الإقبال على اللغة العربية من خلال تقريبها أكثر من مستخدميها ومن خصائص هذا العالم سريع التغير.

6.2- نماذج استخدام اللغة الهجينة عبر الفضاء الافتراضي

نقصد باللغة الهجينة اللغة التي تقتبس من كل لغتين أو أكثر مفرداتها فنجدها تجمع بين العربية والانجليزية أو العربية والفرنسية، كما يقوم مستخدموها باستبدال بعض الحروف بالأرقام، وتشير الأرقام والإحصائيات أن 67.8% من المدونات المصرية مثلا تستخدم اللغة العربية، لكن أغلبها تخلط بين العامية والفصحى (20) وتتخذ هذه اللغة أشكالا مختلفة، نذكر منها:

- كتابة الكلمات بالحروف اللاتينية واستبدال الأرقام بحروف مثل keef a7walek و assalamo 3laikom وغيرها.
- استخدام رموز خاصّة بدلاً من الحروف العربيّة نحو (الرقم 7) يقابل حرف الحاء، والرقم (7') يقابل حرف الخاء وهكذا.
- كتابة الكلمات الأجنبية بحروف عربيّة مثل "مسج" (الأصل في اللغة العربية "رسالة قصيرة" وفي اللغة الأجنبية Message)، "إيميل" (الأصل في اللغة العربية "رسالة الكترونية" وفي اللغة الأجنبية Email).

- استخدام الرموز للتعبير عن المشاعر، مثل:
  - العلامة :) المعنى : ابتسام
  - العلامة : (المعنى : حزن
  - العلامة : '(المعنى : بكاء

وهذه أهم الاختصارات المتداولة في الحوارات الالكترونية باللغة الانجليزية التي يستخدمها الأفراد:

الجدول رقم 1

الكلمة	المختصر
see you soon	c u soon
Because	c o z
how are you	how r u
for me	4m
to me	2me
me too	me 2
Today	2day
Tomorrow	2moro
Picture	Pic
some body	Smb
age/ sex/ location ?	Asl
give me	gv me

خلاصة

في ختام هذه الورقة البحثية علينا أن ننوه إلى أن الفئة الشابة هي أكثر الشرائح المجتمعية إقبالا على استخدام وسائط العالم الالكتروني، وهو ما يجعلنا نفكر مليا في مستقبل اللغة العربية الذي أضحى مجهولا في ظل ازدحام المشهد اللغوي بلغات أجنبية وأخرى هجينة، زادت الحاجة إليها بانتشار التكنولوجيات الاتصالية، وبناءا على ذلك نقترح جملة من التوصيات التي من شأنها التقليل من حدة الاستلاب الثقافي الذي نعيشه اليوم :

التركيز على إيجاد آليات تعليمية وعلمية جديدة للغة العربية، وتكون مبنية على تقنيات رقمية تفاعلية بالدرجة الأولى لتسهيل تلقينها.

توفير معاجم لغوية جديدة يرجع إليها الفرد ويجد فيها البدائل اللغوية العربية للمصطلحات الأعجمية حتى لا تكون اللغات الأجنبية خياره الوحيد.

تعزيز التواجد الالكتروني للغة العربية عبر الانترنت من خلال مضاعفة الجهود لإدراج محتويات عربية متنوعة وتلبي احتياجات الفرد العربي.

تشجيع الأبحاث العلمية المهتمة بالجانب الهوياتي الثقافي العربي وفتح المجال لحوار الحضارات مع الحفاظ مع معالم الحضارة العربية الأصيلة.

هوامش البحث

1- حبيب صالح مهدي: دراسة في مفهوم الهوية، مجلة دراسات إقليمية، العدد 5 الجزء 13، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العراق، متاح على الرابط: https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=29078

2- عبد العزيز بن عثمان التويجري: التراث والهوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2011، ص21

3- نور الدين لبصير: تجاذبات اللغة والهوية بين الأصالة والاغتراب، مجلة جسور المعرفة، الجزء1، العدد 4، جامعة الشلف، ص31-32

4- كمال الدين عطاء الله: جدلية العلاقة بين اللغة والهوية في ضوء التعدد اللساني وتكنولوجيا التواصل، مجلة جسور المعرفة، العدد5، الجزء2، جامعة الشلف، ص141

5-رفيق يونس صالح المصري: تأثير وسائل الإعلام الرسمية على تعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية "فضائية فلسطين – حالة دراسية"، مذكرة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2016، ص50

6-أسعد ملي: التداعيات الإقصائية المتصاعدة لعولمة الإعلام وأثرها على الهوية الثقافية، مجلة جامعة دمشق، المجلد26، العدد الثالث والرابع، سوريا، 2010، ص478

7-Charles Harb : les identités et les valeurs de la jeunesse arabe : l'impact du printemps arabe, annuaire IEMed de la méditerranée, 2014, p78

8-كمال الدين عطاء الله، مرجع سابق، ص142

9-باديس لونيس: الهوية المحلية والهوية الافتراضية في ظل الإعلام الجديد، حدود التلاقي والتلاغي، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 19، الجزء7، جامعة الجلفة، ص37

10-Leila Rezk : Monda arabe et diversité culturelle, Les dix huitième entretiens du centre Jacques Cartier – Rhône- Alpes, le combat pour la diversité culturelle, Lyon, 2- 7 décembre 2005, p7

11–كمال الدين عطاء الله، مرجع سابق، ص142

12–ذهبية بورويس: اللغة العربية بين التعدد اللغوي والتفعيل المعرفي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر ، العدد 15، ص5، متاح على الرابط: http://www.univ-emir.dz/download/madjala-adab/15bourois%20dahabia.pdf

13–جعرير محمد: اللغة العربية وتحديات العولمة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 13، جانفي 2015، ص 41

14–المرجع السابق، الصفحة نفسها

15–كمال الدين عطاء الله، مرجع سابق، ص146.

16–أحمد علي كنعان: اللغة العربية والتحديات المعاصرة وسبل معالجتها، بحث مقدم للمؤتمر الدولي للغة العربية "العربية لغة عالمية: مسؤولية الفرد والمجتمع والدولة"، 19 – 23 مارس 2012، بيروت، ص 5، متاح على الرابط:

http://kenanaonline.com/files/0088/88723/اللغة%20العربية%20والتحديات%20المعاصرة.pdf

17–محمد رفعت زنجير: التحديات التي تواجه اللغة العربية في العصر الحديث، شبكة الألوكة، السعودية، 2015، ص4

18–هاديا خزنة كاتبي: اللغة العربية كلغة ثانية والتحديات التي تواجه دارسيها الأجانب، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الثاني، دمشق، 2012، ص 436

19–مخنفر حفيظة: خطاب الحياة اليومية لدى الطالب الجامعي دراسة نظرية وميدانية على عينة من طلبة جامعة سطيف1، سطيف2، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع بجامعة سطيف2، 2012–2013 متوفرة على الرابط: http://www.univ-setif2.dz/images/PDF/magister/MS37.pdf

20–رحيمة عيساني: اللغة العربنجليزية في وسائط الإعلام الجديد، تهجين اللغة العربية في وسائط الإعلام الجديد: الانترنت وتطبيقاتها أنموذجا، ورقة مقدمة بمؤتمر ودلي بدبي أيام 7 – 10 ماي 2013، متاح على الرابط:

http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference_research-2092925050-1407832150-322.pdf